

هي المقوم الأساسي لوحدت المسلمين

بقلم الأستاذ محمد صغير حسن العصومي (باكستان)



تتعلق بالمعاملات والعبادات في الاسلام فصارت هذه الكلمات شائعة بين المسلمين في كل ناحية من نواحي العالم وما زالت هكذا الى يومنا هذا . وعندما خرج المسلمون من قلب جزيرة العرب وبلغوا كلمة التوحيد الى اقصى الشرق والغرب لقنوا كلمة الشهادة باللغة العربية ، وعلموا القرآن الكريم وشرحوه على منهج سليم كما فعل جلة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، فسارت في ركبهم اللغة العربية ، اى لفة القرآن الكريم ، الى الاقصى والاداني فنالت درجة عليا عند المشاركة والمغاربة الذين انهلوا على هذه اللغة وافتخروا بالمحاورة بها وتادبوا بآدابها وهكذا عممت الثقافة الاسلامية بين الناس في عهد الامويين وعهد العباسيين ، فأخذ اهل الاسلام العلوم والفنون من الاغريقيين والابانيين والهنداكة ، وتقدموا الى اسنى المقاصد واعلى الدرجات، ودارت هذه العجلة في بغداد والقاهرة والقيروان وغرناطة وقرطبة ، وكثير من بلاد المسلمين التي أصبحت بفضل الاسلام كعبة العلوم والفنون .

وقد عمل المسلمون بالاحكام القرآنية في القرون التي كانت اقرب الى عهد الصحابة والخلفاء الراشدين ، وسلكوا على النهج النبوي ، على صاحبه الصلاة والسلام ، وقادوا الانسانية وشادوا الدين ،

ظهر الاسلام لنشر السلام وتعميم الامن في العالم وسادت اللغة العربية في العالم عندما تدفق الدين الحنيف وانتشر في الخائفين ، وقد كانت هذه اللغة قبل الاسلام محدودة في نطاق جزيرة العرب ورايضة في الخمول .

فالقرآن الكريم الذي نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بضع وعشرين سنة هو الكتاب الاول الذي لقن العرب لأول مرة الهداية ، وبين لهم قواعد المجتمع الانساني ووضح الاصول والمبادئ التي لابد منها لتنظيم هذا المجتمع وبلورة حياته الثقافية والاقتصادية والسياسية .

ومن المحقق عند المؤرخين ان لفة امرىء القيس حامل لواء الشعر العربي ورائده لم تكن لفة منسجمة مع ثقافة الاسلام وانما كان الافتخار باللغة العربية فيما بين قبائل العرب فقط ، فاكثرهم كانوا غير مثقفين وغير مهذبين ، حتى ان اليهود والنصارى لم يعتنوا ائذناك بترجمة كتبهم الدينية العبرية الى هذه اللغة .

ولا مرأ في ان الاسلام استحدثت كلمات كثيرة في معانيها الخاصة التي لها صبغة دينية نحو الصلاة والصوم والزكاة والصدقة وعديد من الالفاظ التي

فتولدت من ذلك لغة جديدة فقدت خصائصها القديمة لسيطرة الثقافة الإسلامية عليها وقد ظهر في هذه اللغة الجديدة من الشعراء مثل عباس المرزوق والقطار وابن الرومي والنظامي ، والسعدي والحافظ والعراقي والامير خسرو والجامي وغيرهم ، فكثير من اقطار آسيا وافريقيا وباقى البلاد اعتضدت اللغة العربية وتعاليم الإسلام، فقيت شوكتها ودونت كثيرا من العلوم والفنون بالعربية ، فالحكماء والفلاسفة مثل الفارابي ، وابي حامد الغزالي ، وابي الريخان البيروني ، والشيخ الرئيس ابن سينا ، والسقندي ، والمرغيناني وقاضي خان وامثالهم ، ممن صنفوا بالعربية كان لهم اعزاز بلغة القرآن .

فطريق الخلاص اذن هو الرجوع الى الاسلام
ولغة القرآن الكريم ، والتمسك بالاخلاق الفاضلة
 التي تكمن فيها اسباب الفوز والفلاح، وعوامل الرقي والنجاح. فنزول القرآن الكريم باللغة العربية حجة على انها هي اللغة الفريدة التي تنسجم مع تعاليم الاسلام وهي اللغة الرئيسية عند المسلمين في سائر اقطار العالم ، وهي الرابطة الوحيدة فيما بينهم ، فلا بد من الحفاظ على لغة القرآن واتقانها لضمان التفاهم بين المسلمين .

ثم دب الضعف في معتقداتهم فاستكانوا في مساعيهم وذلوا وتقهقروا في مجالاتهم الدينية والعلمية والثقافية ، وغلبت عليهم الاقوام التي كانت في وقت ما تحت سيطرتهم فسرت بين المسلمين امراض مختلفة جعلتهم على هوة الهلاك .

فالقرآن موجود كما كان في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، موجود بكلماته الخالدة، وبيانه الحي، ولكن ليست هناك اعمال ولا افكار، تتفق وتلك الروح الخالدة ، فليست هناك سوى اصوات جردت من معانيها ، ونتيجة لذلك أخذ التقليد ينمو فأحاط بكل طبقة من المسلمين .

لقد اثرت اللغة العربية في سائر اللغات التي
كانت اداة تفاهم بين المسلمين على اختلاف مناطقهم
 فلفة السواحلي والملاطية مثلا يشملها كثير من الكلمات العربية، واللغة الأردوية المتداولة بين المسلمين في الهند فيها كثير من الكلمات العربية والبنجابية كذلك . وقد احتال الخصوم بالهند للرسم الهندي (السنسكريتي) للاردوية واصروا على ترك الخط العربي عداوة للمسلمين والاسلام فلم ينجحوا . ولنا احسن مثال في اللغة الفارسية التي اقتبست الكلمات العربية واساليبها بعد الفتح الاسلامي ،



تمت
 في شهر ربيع الثاني سنة 1412 هـ
 في مدينة الرياض
 بقلم الشيخ محمد بن عبد الوهاب